إسبال السرور

من صفات الحور والغرف والقصور

تأليف العلامة المجتهد

محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني

تحقيق وتعليق

أبي محمد عبد الله بن أحمد بن لَـمْح الخولانـي

المقدمة

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده نزُلا، وهداهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله تعالى لم يخلُق خلقَه عبثًا، ولم يتركهم سُدى، ولم يُغفلهم هملا، بل خلَقهم لأمر عظيم، وهيَّأهم لخطب جسيم، عرَضه على السموات والأرض، والجبال فأشفقن منه وجَلا، وأغدق عليهم نعمه في الدنيا وأرسل إليهم رسلًا، مبشرين ومنذرين: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وأعد لهم دارين:

فالجنة: لمن أجاب الداعي، ولم يبتغ سوى ربه الكريم بدلا.

والنار: لمن لم يجب الداعي، ولم يرفع له رأسًا، ولم يهرب منها وجلا.

وقد أخبر سبحانه وتعالى أنَّ هذه الدنيا دارَ ممر، إلى دار المقر، فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وفي صحيح البخاري[1] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**». وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) صحيح البخاري (٦٤١٦).

يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» .

وفي صحيح مسلم [١] عن خالد بن عمير العدوي قال: خطَبَنا عُتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصُرْم وولَّتْ حذّاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابُّها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم**» .

فيا تعاسة مَن صحب الدنيا صُحبة الأنعام السائمة، ولم يتفكَّر في المراد من إيجاده على هذه الأرض الفانية، ويا شقاوة من طبَّقته الغفلة وغرته الأماني الزائلة، والخدع الكاذبة، فأقبلوا على شهوات النفوس، ولذات الدنيا، كيفما حصلت حصَّلوها، ومن أي وجهٍ لاحت أخذوها .

ويا سعادة مَن نافس المنافسين، وسابق المسابقين فيما يوصله إلى رضوان رب العالمين، ويولجه في جنات النعيم، واجتهد جهدَه، وبذل وسعَه، مستعينا بربه الكريم في إعتاق نفسه من النار، والفوز بدار الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۞ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٢-٢٦]، ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ۞ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٤-٤١] .

وإنَّ مِن أعظم ما يشحذُ همَمَ العاملين: تذكُّر ما أعدَّ الله لهم من النعيم المقيم، مما لا عين رأتْ ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، حيث الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة السامية، وقد وصف الله تعالى الجنة في كتابه وصفًا يقوم مقام

---

(١) (٢٩٦٧).

العيان، في غير ما سورة من القرآن.

وهذه رسالةٌ جليلة لجلالة محتواها، وعظيمة بعظمة فحواها، سطَّرها يراعة العلامة الشهير محمد بن إسماعيل الأمير، في بيان وصف الحور والغرف والقصور، أجاب فيها عن سؤال أورده بعضُ محبِّيه ممن أشكل عليه بعضُ الأحاديث، فردَّه إليه ليحل له الإشكال.

وقد حصَلْت على جملة مخطوطات للأمير الصنعاني رحمه الله هذه من جملتها، وأنا الآن بصدد إخراجها، ليعمّ النفع بها، ونسأل الله التوفيق.

أبو محمد عبدالله بن لمح

١٤٢٩ من الهجرة

ملخَّص عملي في الرسالة

١) نسخت الرسالة، ثمَّ قابلتها.

٢) صحّحتُ النصَّ، ورسمْتُه بما يُوافق القواعد الإملائية اليوم، وحلَّيتها بعلامات الترقيم ليتضح المعنى، مع ضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٣) خرّجْتُ نصوصها، وحكمت عليها بما تستحقّه.

٤) علّقت على المواطن التي تحتاج إلى تعليق، مِن فكٍّ إجمال، أو توضيح مستغلِق، أو تقريب ما أشار إليه المؤلِّف، ونحو ذلك.

٥) قدمت للرسالة بمقدمة يسيرة، تناسب الموضوع.

٦) كتبتُ ترجمة مختصرة للمؤلِّف .

٧) كتبتُ بعضَ الفصول ـ باختصار ـ قبل الدخول في الرسالة، تتضمن توضيح بعضَ المسائل التي تعرَّض لها المؤلِّف أثناء الرسالة، وأشرتُ في مواضعها إليها، وإنما قدّمتها لأن إثباتها في حاشية الرسالة يشوش القارئ، وقد كنتُ أحببت أن أذكر بعض الأدلة التي تصف نعيم الجنة مما جرى له ذكر في الرسالة في فصل مستقل مع التعليق عليه، ثمّ تركتُ ذلك خشية تطويل الرسالة، إذ قد أغنى عن ذلك كثرة التصانيف في الموضوع[١].

---

(١) ومن أجلِّ ما صُنِّف في وصف الجنة كتاب: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» للإمام ابن القيم، ومنها: «صفة الجنة» لأبي نعيم كتاب مسند، مطبوع في مجلدين، و «صفة الجنة» لابن أبي الدنيا، مطبوع ضمن كتبه ط: المكتبة العصرية، ولا يكاد يخلوا كتاب مصنّف على الأبواب إلا وتضمن كتابًا أو فصلًا عن الجنة، ومن أحسن من استوعب: ابن كثير في «النهاية»، و المنذري في «الترغيب والترهيب»، و القرطبي في «التذكرة»، والسيوطي في «البدور السافرة»، وغيرها كثير، كثير.

ترجمة مختصرة للمؤلف

* محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد . ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الكحلاني ثمّ الصنعاني المشهور بـ : الأمير .

* ولد بمدينة كحلان ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ هـ .

* انتقل مع والده إلى صنعاء سنة ١١٠٧ هـ وأخذ عن عدد من علمائها، ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، وطلب، وثابر، واجتهد، حتى صار رأسًا في العلم والفقه في الدِّين، وتتلمذَ عليه خلقٌ كثير .

* قال عنه الشوكاني: الإمام الكبير المجتهد المطلق .

وقال: «برز في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد، وعمِلَ بالأدلة، ونفَّر عن التقليد، وزيَّف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية».

وقال: «وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين».

* له مؤلَّفات كثيرة ورسائل متعددة، وصفها الشوكاني بأنها: جليلة وحافلة، وهي كذلك، ألَّف في فنون شتى، ومن أجلِّ مصنفاته: «سبل السلام شرح بلوغ المرام» و «منحة الغفار حاشية ضوء النهار» و «حاشية» جليلة على شرح ابن دقيق العيد على العمدة، و «توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار»، و «إجابة السائل» في الأصول.

ومن رسائله:

- «نظم بشرى الكئيب وشرحها».
- «إظهار المعنى لأحاديث أنه يقتص للجما من القرنا».
- «الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن».

- «جواب سؤال عن السُّنة التي أمرنا باتباعها»[١] . و غيرها كثير جدا[٢] .

* توفي رحمه الله بصنعاء، في يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ١١٨٢ هـ، وعمره ثلاث وثمانون عامًا ، رحمه الله رحمة واسعة.

*** مصادر ترجمته:**

ـ تراجم مفردة

١) «مصلح اليمن الكبير محمد بن إسماعيل الأمير» تأليف عبد الرحمن طيب، ط:دار الروائع .

٢) «الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار» د: أحمد العليمي، ط:دار الأمة .

ـ تراجم مضمنة:

١) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٩)، للشوكاني .

٢) «خلاصة العسجد» (٣٤٧) .

---

(١) وقد حققت هذه الأربع بحمد الله.

(٢) وقد حصلْتُ على عدد جيِّد منها، وأنا بصدد تحقيقها، وإخراجها، نسأل الله الإعانة.
قلتُ: وكان هذا في عام ١٤٢٩ من الهجرة، ثمَّ شُغِلْت عنها بأمور وأعمال كثيرة، وكان بلغني عند تردُّدي على دار المخطوطات ومن بعض الجهات أنّ أغلب ومعظم رسائل الصنعاني يعمل الشيخ حلَّاق آنذاك على إخراجها في مجموع نظير «الفتح الرباني»، فانصرفتْ همتي لما هو أهم في نظري، لحصول المقصود من جهة، وعدم تضييع الجهود والوقت من جهة، ولأنه لا يمكنني جمع جميع ما قد تحصَّل هو عليه من رسائله. فتوقفْتُ عند ما قد تم تحقيقه منها، نحو بضعة عشرة رسالة ، وها أنا في زمن الحجْر الذي نمُرّ به (عام ١٤٤١) ولعدم إمكان التردُّد على المكتبة العامة؛ أجد فرصةً لقراءة تلك الرسائل لإخراج ما تيسّر منها. ولم يتيسّر لي هذا الوقت اقتناء «عون القدير» من رسائل الصنعاني المطبوع بعناية الشيخ حلَّاق رحمه الله، للنظر فيه، ولعلّه يتيسر لي ذلك إنْ شاء الله فيما بعد. وهذه الرسائل التي أُخرجها الآن ليستْ في مرحلتها النهائية التي ليس بعدها إلا الطباعة، بل يعوزها بعض النظر والتنسيق.

فصول بين يدي الرسالة

الفصل الأول: في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦-١٧].

وجاء هذا في عدد من الأحاديث، فمنها:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». قال أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾. رواه الشيخان [١].

وفي لفظ للبخاري: « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذُخْرًا منْ بَله ما أطلعْتم عليه**»، وفي لفظ لمسلم: «**بله ما أطلعكم الله عليه**».

* عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول: شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة، حتى انتهى، ثمَّ قال في آخر حديثه: «**فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [٢].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» أخرجه البزار [٣]، ورواه ابن جرير [٤] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل...به.

---

(١) البخاري (٤٧٧٩، ٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٢٥).

(٣) (٤/ ١٩٢/ كشف) وصحح إسناده الحافظ في «مختصر زوائد البزار» (٢/ ٤٨١).

(٤) في «التفسير» (٢١/ ٦٧)، وهو في الجامع الصحيح (١/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

* عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سأل موسى، عليه السلام ربه عز وجل: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فَقَال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولَذَّت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أرَدتُ، غَرَسْتُ كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر**»، قال: ومصداقه من كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١).

قال المفسرون: أي لا تعلم نفسٌ من النفوس، أيَّ نفس كانت، لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسل، ما أخفاه الله تعالى لعباده الموصوفين بتلك الصفات، وذلك لأن ﴿نَفْسٌ﴾ في الآية: نكرة في سياق النفي تقتضي العموم، واستغراق كل نفس.

قال ابن كثير رحمه الله (٢): «أي: فلا يعلم أحدٌ عظمةَ ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقًا؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل».

وقال ابن جرير رحمه الله (٣): «أي : فلا تعلمُ نفسُ ذي نفس ما أخفي الله لهؤلاء

(١) أخرجه مسلم (١٨٩)، والترمذي (٣١٩٨)، وقد أُعِلّ الحديث، ولا يضره بل هو صحيح إن شاء الله.

(٢) «تفسيره» (٣/ ٦٢٢).

(٣) «تفسيره» (١٨/ ٦١٦)، وانظر لهذا المعنى: «تفسير القرطبي» (١٤/ ٩٥)، و «نظم الدرر» للبقاعي (١٥/ ٢٥٧)، و «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود (٤/ ٣٩٣)، و«فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٣٣٣)، و «روح المعاني» للألوسي (١٢/ ٢٠٠).

الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾».

وقال ابن القيم رحمه الله [١]: «وتأمل كيف قابلَ ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفسٌ، وكيف قابل قلقَهم وخوفَهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقُرَّةِ الأعين في الجنة».

*** فإنْ قيل: النفس في الآية محمولة على البشر، كما نص عليه الحديث، فإن في الملائكة من يطلع على نعيم الجنة، ويخطر على بالهم؟.**

قيل: لا تعارض بين الآية والحديث، فالآية على إطلاقها وعمومها، ويؤيده ما جاء في أثر ابن مسعود رضي الله عنه: «ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل» [٢].

قال الحافظ ـ وهو يدفع قول من قال: إنما قيل البشر ـ أي في الحديث ـ لأنه يخطر بقلوب الملائكة ـ قال: «والأولى: حمل النفي فيه على عمومه، فإنه أعظم في النفس».

قلت: وهو الذي أطبق عليه المفسرون، فيما رأيت.

ولعله خص البشر في الحديث: لأنهم الذين ينتفعون بما أُعد لهم، ويهتمون لشأنه ببالهم، بخلاف الملائكة[٣].

قال المناوي رحمه الله [٤]: «واستُشكِل بأن جبريل رآها في عدة أخبار، وأجيب:

١) بأنه تعالى خلق ذلك بعد رؤيتها.

٢) وبأن المراد عين البشر وآذانهم.

---

(١) «حادي الأرواح» (١٩٩) الباب الرابع و الستون: «في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الفتح (٨/ ٦٥٥) و «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٠).

(٣) انظر: «إرشاد الساري» (١٠/ ٥٠٢) للقسطلاني.

(٤) «فيض القدير» (٤/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).

٣) وبأن ذلك يتجدد لهم في الجنة كل وقت .

٤) وبأن جبريل إنما ينظر لما أُعد لعامتهم.

قلت: وأحسن الأجوبة هو الجواب الأخير، وهو الذي جاء به النص، وبه يجاب عن الإشكال الآخر، وهو: **أن النبي ن: اطلع أيضا على الجنة ورآها؟** كما سيذكره الصنعاني في رسالته هذه، ومحصَّل الجواب:

أنَّ هذا النعيم المخبَر عنه في هذه النصوص المتقدمة غير الذي أطْلع الله عليه أحدًا مِن خلْقه سواء كان ذلك عن مشاهدة أو عن خبر الصادق . بل ذلك كرامة عظيمة، واعتناء وتشريف من رب العالمين لمن شاء من خلقه، من أهل طاعته وخشيته.

قال القرطبي[١] شارح مسلم: «يعني أن المُعدّ المذكور غير الذي أطْلع الله عليه أحدا من الخلق».

وقال القرطبي ـ المفسِّر ـ[٢] ـ بعد ذكره الآية والحديث ـ: «وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلا، كما جاء مبيَّنا في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة .. وذكر حديث المغيرة المتقدم ـ والشاهد منه: «**قال رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أرَدتُ، غَرَسْتُ كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر**»، قال: ومصداقه من كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

قلت: وهذا واضح بحمد الله، وقد جعل الحافظ حديث المغيرة بن شعبة: سببًا لورود الحديث ـ أعني حديث: «أعددت لعبادي..» ـ فإنه قال [٣]: «ووقع في

---

(١) «المفهم» (٧/ ١٧٢).

(٢) في «تفسيره» (١٤/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٦٥٥).

حديث آخر أنَّ سبب هذا الحديث أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه عن أعظم أهل الجنة منزلة؟ فقال: «**غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» أخرجه مسلم والترمذي من طريق الشعبي سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ أن موسى سأل ربه فذكر الحديث بطوله وفيه هذا وفي آخره قال: ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾».

وقال ابنُ القيم رحمه الله [١]: «الباب الثالث والعشرون في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسِها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان.

وذكَر الأدلةَ ثمَّ قال: «وتأمَّل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفًا وإظهارًا لفضل ما خلقه وبيده وشرفه وميّزه بذلك عن غيره وبالله التوفيق فهذه الجنة في الجنات كآدم في نوع الحيوان».

ثم ذكر حديث المغيرة مستدلًّا به.

وأيضًا: فإن في الأحاديث ما يدل على هذا ـ وهو كالنص فيه ـ وهو لفظ: «**بله ما أطلعكم الله عليه**» وفي لفظ: «**ذُخْرًا منْ بَله ما أطلعْتم عليه**» وكلاهما في الصحيح.

والروايات كلها تدل: على أنَّ ما في الحديث من النعيم العظيم الموصوف بـ: «ما لا عين رأت..» أنه غير الذي أطلع الله من شاء من عباده عليه من نعيم الجنة، فإن ذلك أمر عظيم قلما تتسع العقول لإدراكه، والإحاطة به .

وفي خصوص رواية البخاري: «**من بله ما ..**» المتقدمة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [٢]: «وأصح التوجيهات ـ أي في معناها ـ: أنها بمعنى (غير) لخصوص سياق حديث الباب حيث وقع فيه «**ولا خطر على قلب**

(١) «حادي الأرواح» (٨٦).

(٢) «الفتح» (٨/ ٦٥٦) بتصرف.

بشر»، وذلك بين لمن تأمله والله اعلم».

ويحتمل أيضًا في الجواب:

أنَّ هذا النعيم المشار إليه في تلك الأحاديث أنواع وأجناس، من أنواع وأجناس نعيم الجنة الذي لا حدّ له ولا عدّ، فإن نعيم الجنة لا تنحصر أجناسه، ولا ينقطع مدده، وليس في اطلاع بعض الملائكة أو النبيين ما يدل على تعميم اطلاعهم على جميع نعيم الجنة، وعلى هذا الوجه تحمل تلك النصوص على جميع أهل الجنة، لا خصوص أهل درجة فيها، بحيث ينالون من أجناس النعيم ما هو داخل تحت الوصف المذكور.

ويؤيده تفسير ابن سيرين ـ فيما عزي إليه ـ أنه قال: (المراد بذلك النظر إلى وجه الله تعالى) وحكى نحوه المناوي [١] عن بعض العارفين!.

ولعل عدّ الإمام ابن القيم أنواعًا وأصنافًا من نعيم الجنة في الباب (الرابع والستين)[٢] مما جاء به الأثر: يومئ إلى هذا، فكأنه يقول: هذا بعض نعيم الجنة، وثمَّ من النعيم ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، والله أعلم.

---

(١) في «فيض القدير» (٤/ ٦٢٢).

(٢) وهو: باب: في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال.

الفصل الثاني : في بيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

أشار المصنف إلى الآية في الرسالة في قوله: «كمعاني المتشابه من كلامه: لم يجعل الإذن إلا في تلاوته!، ولم يُمدح الراسخين ؛ إلا بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾»

فكان لابد من بيان خلاصة في معنى ذلك، فأقول:

اعلم أنه جاء وصف القرآن كله بأنه: محكم. ووصف كله بأنه : متشابه، ووصف بعضه بالإحكام وبعضه بأنه متشابه.

فأما الأول: فكقوله تعالى : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، وكقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

ومعناه: المتقَن فليس فيه خلَل، بل هو في أكمل البيان والفصاحة والبلاغة، ومعانيه أكمل المعاني، وأنفعها، وأحكامه في أكمل العدل، كما قال تعالى :﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥].

وأما وصفه كله بالمتشابه: ففي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الآية [الزمر:٢٣] .

ومعناه: أن القرآن كله متشابه في الإحكام والإكمال والإتقان، فلا يناقض بعضه بعضا.

وأما وصف بعضه بالإحكام وبعضه بالتشابه: ففي الآية التي أشار إليها المصنف، وهي قوله تعالى :﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران/ ٧].

فالمقصود بالمحكم في هذه الآية: ما كان ظاهر المعنى، بيِّن الدلالة، الواضح الذي لا لبس فيه من حيث المعنى .

والمقصود بالمتشابه: ما خفي معناه، وفيه اشتباه من حيث الدلالة على كثير من

الناس أو على بعضهم .

قال ابن كثير: رحمه الله «فمَن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكَّم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس».

ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قالت: قال رسول الله: «**فإذا رأيتَ الذين يتَّبِعُون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

واعلم أن التشابه نوعان:

الأول: تشابه مطلق، وهو: ما لا يعلم حقيقته وكنهه أحد إلا الله تعالى.

الثاني: تشابه نسبي، وهو : ما خفي معناه على بعض الناس لا على كلهم، لقصور في فهمه، ونحو ذلك .

وهذا التقسيم تابع للوقف في الآية، وفيه مذهبان:

الأول: وعليه جمهور السلف والخلف: الوقف على لفظ الجلالة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وعليه فيكون المراد بالمتشابه هنا هو: التشابه المطلق، كحقائق صفات الرب سبحانه، وما أخبر الله عما في الدار الآخرة .

الثاني: الوصل، يعني يقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ويقف على ﴿ٱلْعِلْمِ﴾، وعليه فالمراد بالمتشابه: التشابه النسبي، وهو الذي يخفى على بعض الناس معناه، ويتضح ويُعلم: بالتدبر، أو البحث، أو السؤال .

واعلم أنه ليس في القرآن ما لا يُعرف معناه. ويوجد فيه: ما لا تُعرف حقيقته وكيفيته التي هو عليها، كما تقدم .

---

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

ومن هذا يتضح أنَّ قول المصنف رحمه الله: «كمعاني المتشابه من كلامه: لم يجعل لنا الإذن إلا في تلاوته»: إنْ أراد معرفة حقيقته وكنهه، وهو الظن به، فجيِّد، وإن أراد ما يقوله المفوضة الـ (لا أدريَّة): نقرأ لفظًا ولا نعرف معناه: فمردود، لكن كلامه محمول على الأول، لكن اقتضى ظاهر لفظه المحتمل: التنويه، والله أعلم [١].

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨)، «التدمرية» (٨٩ ـ ١٠٦)، و «تقريب التدمرية» (٨٨ ـ ٩٥)، «مختصر الصواعق» (١/ ١٨٦ ـ ١٨٨) ط:الفكر، «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٧٧٨ ـ ٧٨٠) رسالة.

وصف النسخ الخطية

* الأولى وهي الأصل:

مصدر المخطوط: دار المخطوطات بصنعاء .

مجموع رقم: (٣١٤٥) .

المخطوط يقع في: أربع ورق، كل لوحة فيها صفحتان .

من صفحة: (٢٣٦) إلى صفحة: (٢٣٩) .

وقد رمزت لها بـ «ب» .

وجعلتها الأصل لقلة الأخطاء فيها، ولاكتمالها، فإنها كاملة.

* الثانية:

مصدر المخطوط: جامعة الملك عبد العزيز بجدَّة

ضمن «مجموع رسائل» للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني .

جمعه حفيد الأمير الصنعاني عبدالكريم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير.

عدد أوراق المجموع: ٢١٣ ورقة/ ورقات.

رقم النسخة: ٢/٣٧٥٥

والرسالة في هذا المجموع ناقصة ورقة كاملة، وفيها عدة سقوطات من سطر فأكثر، قد نبهت على بعضه، لكنني استفدت من بعض الزيادات فيها، ومن قراءة بعض الكلمات التي لم أتمكن من قراءتها في «الأصل»، وكل ما زدته منها بينته في الحاشية، ورمزت لها بـ «أ».

صور من المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلاته وسلامه على محمد وآله الطاهرين.

[نص السؤال]

وصل السؤال عن الغرف والحور، جعل الله للجميع من ذلك برحمته وجوده النصيب الموفور .

ولفظه][(١)]: سؤال عما وردَ من صفات «الحور العين»[(٢)]، وصفاتهن وأنه[(٣)]: «ينفذُها البصَر من وراء سبعين حلة[(٤)] حتى يرى من وراء الحلل»، في روايات متعددة[(٥)].

---

(١) ما بين معقوفين من «ب» وليس في «أ».

(٢) ورد ذكر «الحور العين» في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:٥٤]، وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠]، وقال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة:٢٢]، وجاء وصفهن بـ «الحور» دون «عين»، في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، وورد وصف نساء الجنة بـ (عين) دون «حور» في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات:٤٨]، قال ابن القيم: والحُوْر جمع: حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين،..ثم نقل نقولاً عدة، وقال: والصحيح أن «الحور» مأخوذ من: الحوَر في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين، وأما (العِين) فقال ابن القيم أيضا: والصحيح أن العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة. «حادي الأرواح» (٢٠٦)، وانظر «مفردات الراغب» (٢٦٣/ ط:دار القلم).

(٣) في «أ»: سؤال عما ورد من أحوال الحور وصفاتها وأنه.. وفي بقية السؤال في«أ» أيضا خلاف في بعض الألفاظ وترتيبها لا يضر بالمعنى، رأيت ألَّا أشير إليه.

(٤) الحلة: إزار ورداء، ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة اهـ «القاموس» (٩٨٦)، «النهاية» (٢٢٩) ط:دار ابن الجوزي.

(٥) **صحيح**: جاء من حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٥) قال: ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «للرجل =

من أهل الجنة زوجتان من حور العين على كل واحدة سبعون حلة **يرى مخ ساقها** من وراء الثياب». وهذا سند صحيح.

وأخرجه أحمد أيضا (٢/ ٥٠٧)، والدارمي (٢٨٣٥)، من طريق يزيد بن زريع أنا هشام القردوسي عن ابن سيرين عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا، وفيه: «**لكل رجل منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهما من وراء الحلل**».

وله عن أبي هريرة طريق آخر بذكر الحلل: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٥): ثنا علي بن عبد الله قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن أبي رافع يعني الصائغ عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «للمؤمن زوجتان يرى مخ ساقيهما من فوق ثيابهما»، رجاله ثقات.

وأخرجه أبو يعلى (٦٤٣٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ٣٧)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٢٧) من طريق معاذ بن هشام ..به .

وانظر: «المسند الجامع» (١٨/ ٤٨٤، ٤٨٩).

وجاء من حديث أبي سعيد ﷺ: وله عنه طريقان:

الأول: عطية العوفي عنه مرفوعا، وفيه: «..على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء لحومها ودمها وحللها». أخرجه أحمد (٣/ ١٦)، والترمذي (٢٥٣٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥١) وغيرهم من طريق فضيل بن مرزوق عنه ..به.

وتابع فضيلا: فراس، أخرجه الترمذي (٢٥٢٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٢٠) ومن طريقه أبو نعيم (١/ ٩٦): من طريق عبيد الله بن موسى أنا شيبان عن فراس عن عطية ... به نحوه وهذا سند ضعيف من أجل عطية العوفي، وبه أعله الهيثمي (١٠/ ٤١٢).

وقد رواه فضيل مرّةً فجعله من مسند ابن مسعود كما سيأتي.

الطريق الثاني: دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رفعه: «إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه قال فيرد السلام ويسألها من أنت وتقول أنا من المزيد وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها من التيجان أن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب».

أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، وابن حبان (١٦/ (٧٣٩٧)، وأبو يعلى (٢/ (١٣٨٦)، والحاكم (٢/ ٤٢٦)، وغيرهم. وسنده ضعيف لأجل دراج، وروايته عن أبي الهيثم أشد ضعفًا.

=

والذي في الصحيحين[١] في وصْفهن: «**يرى مخ ساقها من وراء اللحم**» من دون تقييد : بالثياب، ولا إشكال عليَّ بذا .

فما يظهر لكم فيما ورد من غيرها ؟ هل ذلك بالنظر إلى ما بين الزوجين ليس إلا، أو بقيد ما في الصحيحين ؟.

قال الهيثمي (١٠/ ٤١٩): «رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن!» . قلت: إن أراد لغيره فمحتمل، وإلا فلا. وحسَّن إسناده العراقي في «المغني» (٢/ ١٢٦٥/ ط:دار طبرية) وأشار إلى أنه روي عن أبي الهيثم عن النبي ﷺ مرسلا، دون ذكر أبي سعيد اهـ.

وجاء من حديث ابن مسعود، وله طريقان:

الأول: عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود مرفوعا بلفظ: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك..» رواه كذلك عبيدة بن حميد، أخرجه الترمذي (٢٥٣٣)، وهناد في «الزهد» (١/ (١١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٩)، وابن حبان (٧٣٩٧). **وخالفه** جرير عند الترمذي (٢٥٣٤)، وأبو الأحوص عند الترمذي (٢٥٣٤)، وهناد (١٠)، وابن فضيل، وورقاء بن عمر، وغيرهم كما في «علل» الدارقطني: فرووه عن عطاء ..به موقوفا على ابن مسعود، قال الترمذي عقب رواية أبي الأحوص: وهذا أصح، وهكذا روى جرير وغير واحد عن عطاء بن السائب ولم يرفعوه، وهو أصح اهـ ورجح وقفه الدارقطني.

الطريق الثاني: من طريق فضيل بن مرزوق عن أبي إسحاق عن عمرو عن ابن مسعود به مرفوعا، لكن خالفه إسرائيل، والثوري، وأسباط بن نصر، كما في «علل» الدارقطني، ومعمر كما في «مصنف» عبد الرزاق (١١/ ٤١٤) فرووه عن أبي إسحاق ..به موقوفا، ورجح الداقطني وقفه، وهذا هو الصواب، والموقوف ثابت إلى ابن مسعود رضي الله عنه .

وفي الباب موقوفات ومقطوعات، لا حاجة لذكرها، وقد ثبت الحديث بما تقدم، والحمد لله.

(١) البخاري (٣٢٥٤، ٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤)، عن أبي هريرة، ولفظه: «**أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم من الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا**»، وفي لفظ للبخاري: «**يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم**»، وانظر: «المسند الجامع» (١٨/ ٤٨٥ـ ٤٨٦) .

ومن هذا: ما ورد من وصف الغرف: «أنه يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»، في حديث: «**وإن في الجنة لغرفا ..**» ورد من طرق[١].

---

(١) **حسن بطرقه:** الحديث جاء عن عدد من الصحابة، عن: عبد الله بن عمرو، وأبي مالك الأشعري، وعلي بن أبي طالب، وجابر، ﷺ.

حديث عبد الله بن عمرو:

أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣) قال: حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي حدثه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**» فقال أبو موسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله، قال: «**لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وبات لله قائما والناس نيام**».

وهذا سند ضعيف: ابن لهيعة، وحيي بن عبد الله المعافري: كلاهما ضعيف.

لكن ابن لهيعة متابَع، فقد أخرجه الحاكم (١/ ٨٠، ٣٢١) من طريقين: عن ابن وهب أخبرني حيي عن أبي عبد الرحمن ..به، بلفظ: «**إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها**» فقال أبو مالك الأشعري: لمن يا رسول الله ؟ قال: «**لمن أطاب الكلام و أطعم الطعام و بات قائما و الناس نيام**». وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعا بحيي و هو أبو عبد الرحمن المذحجي صاحب سليمان بن عبد الملك و يقال: مولاه و لم يخرجاه».

وهذا لفظ الطبراني فيما ذكره المنذري في الترغيب (١/ ٣٩٧/ صحيحه) والهيثمي في «المجمع» (٢/ ٥٢٤): وحسَّنا إسناده.

وقال ابن القيم ـ بعد أن ذكره من رواية ابن وهب ـ: قال محمد بن عبد الواحد: وهو عندي إسناد حسن، وذكر أبي مالك فيه يدل على صحته، لأن أبا مالك قد رواه، وإسناده أيضا حسن اهـ «حادي الأرواح» (١٣٤). قلت حديث أبي مالك هو الآتي:

حديث أبي مالك الأشعري ﷺ:

أخرجه أحمد (٣٤٣)، وابن خزيمة (٢١٣٧)، وابن حبان (٥٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٣/ (٣٤٦٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١/ ٣٠١)، كلهم من طريق عبد الرزاق ـ وهو عنده في «المصنف» (٢٠٨٨٣) ـ قال: أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق ـ أو أبي معانق ـ عن أبي مالك الأشعري رفعه: «**إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن اطعم الطعام وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل**

=

والناس نيام»، قال الهيثمي (١٠/ ٧٧٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن معانق وثقه ابن حبان». قلت: واقتصر المنذري (١/ ٣٩٧): على تخريجه من صحيح ابن حبان.

قلت: وهذا سند ضعيف، لعلتين: جهالة ابن معانق، وروايته عن أبي مالك فيها كلام.

قال ابن حبان: ابن معانق هذا: اسمه عبد الله بن معانق الأشعري. وقال ابن حجر في «إتحاف الخيرة» (١٤/ ٣٦٢): قد ذكره ابن حبان في ثقاته، ولكنه قال: يروي عن أبي مالك، وما أراه شافهه، وقال الدارقطني: مجهول اهـ وفي «التهذيب» و«اللسان» عن الدارقطني أنه قال: مجهول، لا شيء، قلت: وهي جهالة حال فقد روى عنه جمع، ووثقه العجلي وابن حبان.

وقد خولف معمر في إسناده كما ذكره الدارقطني في «العلل» (١٣/ ٣٠٧).

وله طريق أخرى إلى ابن معانق عند الطبراني (٣/ (٣٤٦٧)، وهي الطريق التي ذكرها ابن القيم في «حادي الأرواح» (١٣٤).

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (١/ ١٥٦)، والترمذي (١٩٨٤، ٢٥٢٧)، وابن خزيمة (٢١٣٦)، وهناد في «الزهد» (١٢٣)، وغيرهم من طريق: عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي مرفوعا بلفظ: «**إن في الجنة غرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها**» فقام أعرابي فقال لمن هي يا رسول الله ؟ قال: «**لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام**» . قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحق وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد الرحمن بن إسحق هذا من قبل حفظه.

وقال ابن خزيمة: إنْ صحّ الخبر، فإن في القلب من عبد الرحمن بن إسحاق أبي شيبة الكوفي.

قلت: عبد الرحمن بن إسحاق: ضعيف، والنعمان بن سعد: فيه جهالة قال الحافظ: مقبول.

حديث جابر رضي الله عنه:

قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (١٣٦): وفي «فوائد» ابن السماك: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ ؟: «**ألا أحدثكم بغرف الجنة؟**» قال قلنا بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قال: «**إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها من ظاهرها...**» وذكر حديثا طويلا.

=

فإن كون الغرفة في الصفاء إلى الحد الذي ذكر، بحيث لا يخفى ما في باطنها ينافي موضوع القصور والغرف والأبواب وغير ذلك مما وصف به مساكن أهل الجنة .

ثم جاء في رواية البيهقي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [١]: «**فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإن كان خلفها لم يخف عليه ما فيها**»[٢]، فإذ ا كان باعتبار ساكنها:

إسناده ضعيف، فإن الحسن لم يسمع من جابر.

والحديث أخرجه تمام في «الفوائد» (١٧٨٠)، وهو في «أمالي الشجري» كما في «الإيماء» (٢/ ١٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٦)، وانظر: «الروض البسام» (٥/ ٢٢٢).

(١) في المخطوط: (رض)! علامة اختصار: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (٩٨): وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفا فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها**» قيل لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام» قال: وما طيب الكلام؟ قال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات» قيل وما وصال الصيام؟ قال: «من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه» قيل وما إطعام الطعام؟ قال: «من قات عياله وأطعمهم» قيل وما إفشاء السلام؟ قال: «مصافحة أخيك وتحيته» قيل وما الصلاة والناس نيام؟ قال: «صلاة العشاء الآخرة».وقال: حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير على بن حرب فيما أعلم قلت ـ ابن القيم: هذا يلقب بالكَفْر ـ بفتح الكاف وسكون الفاء ـ وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلي ابن حرب وهما ثقتان، ولكن ضعفه ابن عدي وابن حبان، وحديثه وهذا له شواهد، والله أعلم اهـ.

قلت: الحديث أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٤٤)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ١٧٨ ـ ١٧٩)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) من طريق حفص به، قال البيهقي: وحفص بن عمر هذا: مجهول لم يرو عنه غير علي بن حرب اهـ وقال ابن عدي: حدّث عن عمرو بن قيس الملائي عن عطاء عن ابن عباس أحاديث بواطيل، وقال في آخر ترجمته: وهذه الأحاديث بهذا الإسناد مناكير لا يرويها إلا حفص بن عمر بن حكيم هذا =

زال الإشكال، لكن الظاهر أن ذلك الوصف مطلق، ومُساقٌ لإفادة صفائها وحسنها .

وفي الصحيحين[١]: «**أن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا، للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضا**» .

قال ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح»[٢]: فهذه الخيام غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار انتهى . وكأنه يشير إلى منافاته لوصف الغرف بما تقدم من أنه لا يخفى ما في باطنها من ظاهرها وبالعكس .

[فتفضلوا بالنظر في الأحاديث .

وأحكام هذه المقامات: إنما تؤخذ بالفهم من الأحاديث وسياقها، واختلاف ألفاظها، وإلا فلا مجال للنظر، فإنها أمور غيبية لا يسع المؤمن إلا التسليم وطلب دخولها برحمة الله وفضله .

اللهم أسكنا الجنة برحمتك وفضلك وأعذنا من النار يا أرحم الراحمين .

وهو: مجهول ولا أعلم أحدا روى عنه غير علي بن حرب ولا أعرف له أحاديث غير هذا اهـ.فإسناد الحديث ضعيف جدا بل باطل.

وقول ابن القيم: له شواهد، بل الأحاديث السابقة تغني عنه، وأما هذا فلا يصلح لأن يقوي، ولا لأن يتقوى، على أنه انفرد بقوله: «**فإذا كان ساكنها فيها**» فهي لفظة منكرة.

(١) البخاري (٣٢٤٣، ٤٨١٩)، ومسلم (٢٨٣٨)، من حديث أبي موسى ولفظه: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا».

(٢) حادي الأرواح (٢٥٠)، الباب: «الحادي والخمسون» في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم.

الجواب

الحمد لله الذي أعد الجنة(١) للمؤمنين، وحرمها على المشركين(٢).

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وآله الطاهرين.

وبعد:

فإنه وصل السؤال الباعث لارتياح الأرواح إلى «ديار الأفراح»(٣)، والمثير لزيادة الأطماع في رحمة الله التي بها تُنزل الأبرار تلك البقاع:

---

(١) قال الله تعالى عن الجنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد:٢١]، قال الطحاوي: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان) قال ابن أبي العز: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك». «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٢٠)، وقال ابن القيم: «لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة..اهـ المراد من«حادي الأرواح» (١١)، وقول المعتزلة: باطل، ولأهل الحق أدلة كثيرة على إبطاله، وإثبات المعتقد الصحيح، انظر «المرجعين السابقين».

(٢) قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وإذا كان الأمر كذلك: فإنه يحرم الدعاء للمشرك والكافر ـ مهما كان كفره ـ بالجنة، أو الترحم عليه، والاستغفار له، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

(٣) هذا اسم طابق مسماه، ولفظ وافق معناه، انظر «حادي الأرواح» (٣٠).

يراها بعين الشوق قلبي على النوى فتحظى ولكن من لعيني برؤياها[١]

وقد أنشدتُ عند قراءة لفظه، المؤدي بمعناه، ومعرفة ما تضمنه فحواه:

فســـلِّم عـــلى جنـــات عـــدن فإنهـــا

منازلـــــك الأولى وفيهـــــا المخـــــيَّم

ولكـــن ســـباك الكـــالحون لأجـــل ذا

غـدوت عـلى الأطـلال تبكـي وتـزرم[٢]

وقد ساعدناكم في الجواب، ومن الله نستمد الهداية والصواب . فأقول:

اعلم أن نعيم دار القرار ـ جعلنا الله من سكانها في جوار عباده الأبرار ـ وما ورد من صفات حورها، وغرفها، وقصورها، وما فيها من كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين: أمر لا تكتسبه[٣] العقول، ولا تحيط به الأذهان، ولا تقف منه الأفكار على غير: علم اليقين، والإيمان بما أخبر به المصطفى ﷺ.

و[لا] يقف على عين اليقين، ولا حق اليقين[٤] ؛ فكرٌ / ل١/ أ/ من الأفكار مهما

---

(١) البيت أنشده ابن القيم في: «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٨٩) ط:عالم الفوائد، وقال محققه: البيتان من قصيدة لمهيار الديلمي، «ديوانه» (٤/ ١٨٣).

وكلمة (رؤياها) غير واضحة في الأصل المخطوط، استدركناها منه، وبعده عنده:

وهبكم منعتم أن يراها بعينه... فهل تمنعون القلب أن يتمناها

(٢) وبنحوهما في «حادي الأرواح» (٢٠٤)، هكذا:

فحيَّ على جنات عدن فإنها * منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى * نعود إلى أوطاننا ونُسلَّم؟

(٣) ويحتمل قراءتها هكذا: تكتهنه.

(٤) اليقين: عبارة عن الاعتقاد الجازم الراسخ الثابت، وهو على ثلاث مراتب: (علم اليقين) و (عين اليقين) و (حق اليقين). وكلها ورد ذكرها في القرآن الكريم.

=

بقي في هذه الدار .

فأما المرتبة الأولى (علم اليقين): فقال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٥]، ومعناها: التصديق التام بالخبر الصادق، بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح في تصديقه.

كعلم اليقين بالجنة مثلًا، وتيقّن أنها دار المتقين ومقر المؤمنين، فهذه (مرتبة العلم) وهي: اليقين بأنَّ الرسل أخبروا بها عن الله، وتيقنهم صدق المخبر.

وأما المرتبة الثانية (عين اليقين): فقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٧]، وهي (مرتبة الرؤية والمشاهدة)، كاليقين الحاصل من رؤية الجنة في الدار الآخرة، والفرق بين هذه المرتبة والتي قبلها: كالفرق بين العلم والمشاهدة، فعلم اليقين للسمع، وعين اليقين للبصر .

وأما المرتبة الثالثة (حق اليقين): فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة:٥١]، وهي تعني: مباشرة الشيء بالإحساس به، كما إذا أدخلوا الجنة وتمتعوا بما فيها.

فعلمنا الآن في الدنيا بالجنة والنار: (علم يقين) فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق، وبرّزت الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك: (عين اليقين)، فإذا أُدخل أهل الجنة: الجنة، وأُدخل أهل النار: النار فذلك حينئذ: (حق اليقين).

ومن الأمثلة التي توضح هذه المراتب الثلاث:

كمَن أخبرك: أن عنده عسلا وأنت لا تشك في صدقه، ثم أراكَ إياه فازددت يقينًا، ثم ذُقت منه، فالأول: (علم اليقين)، والثاني: (عين اليقين)، والثالث: (حق اليقين).

وبهذا يتضح جيدا كلام الصنعاني رحمه الله، ومحصَّله: أننا نقف مع أخبار الرسول ﷺ عن الجنة وما فيها عند: (علم اليقين)، فإذا انتقل العبد المؤمن إلى الدار الآخرة تمكن من مرتبة: (عين اليقين) و (حق اليقين).

وانظر لهذا المبحث: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٤٥)، و«التبيان» (١١٤) لابن القيم، و«مدارج السالكين» (٢/ ٤٠٣)، «الضوء المنير/ من تفسير ابن القيم» (٦/ ١٦٣، ٤٤٧)، «بصائر ذوي التمييز» (٥/ ٤٠١ـ ٤٠٣)، «مفردات الراغب» (٨٩٢/ دار الفكر)، «الكليات» لأبي البقاء (٩٨٠/ الرسالة)، «التعريفات» (٧٧، ٢٠٤)، «كشاف اصطلاحات الفنون» (١/ ٤٥٣) للتهانوي.

وقد أشارَ المصطفى ﷺ إلى هذِه المقدِّمة في «الحديث القُدسي»[١]، يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعكم الله عليه**[٢]» أخرجه الشيخان[٣].

و: (عين) و (أذن) نكرتان في سياق النفي، تقتضي النفي في كل «عين» وكل «أذن»[٤]، حتى ما سمعه آذان أصحابه من أخباره لهم عنها. وإنه لم يخبرهم إلا بأمور تقريبية بقدر أفهامهم وما تسعه عقولهم.

وقد قال ﷺ: «**حدثوا الناس بما تسعه عقولهم، أتحبون أن يكذب الله**

---

(١) الحدِيث القُدسي: هو ما أَخبر الله نبيه ﷺ بإلهام أو منام فأخبر عن ذلك المعنى بعبارته، والقرآن مفضل عليه بإنزال لفظه أيضا، وبينه وبين القرآن فروق موضحة في موضعها. انظر: «التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (٢٧١)، و«التعريفات» (٧٣) للجرجاني.

(٢) قوله: «بله ما..» «بله» اسم من أسماء الأفعال بمعنى: دع، أي: دع عنك ما أطلعكم عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالا له في جنب ما لم يطلع عليه، وقيل معناه: غير، وقيل: معناه كيف، ويختلف معناها من سياق لآخر، راجع: «فتح الباري» (٨/ ٦٥٥)، و «إرشاد الساري» (١٠/ ٥٠٣).

(٣) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٨٢٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وبنحوه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عند مسلم (١٨٩)، وجاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند ابن جرير الطبري (١٨/ ٦٢٢) وقد قدمت ألفاظها في فصل مستقل.

(٤) «النكرة في سياق النفي أو النهي: تفيد العموم» هذه قاعدة مقررة في كتب الأصول، وهي إحدى صيغ العموم، انظر: «شرح الكوكب المنير» (١/ ١٣٦)، روضة الناظر» مع الشرح (٢/ ١٢٤)، «البحر المحيط» (٣/ ١١٠).

قال المناوي: (ما لا عين رأت): أي: ما لا رأت العيون كلها، لا عين واحدة، فإن (العين) في سياق النفي: تفيد الاستغراق، ومثله: (ولا أذن سمعت) بتنوين «عين» و«أذن»، وروي بفتحها اهـ «فيض القدير» (٤/ ٦٢١) ط:دار الكتب، وانظر: «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧).

ورسوله»[(١)].

وحينئذ: فلا مجال للأفهام في معرفة ما هنالك[(٢)]، وإدراك كيفيته، لأن الأفهام إنما تستمد من حاسة: السمع، والبصر[(٣)]، وتقيس المغيَّبات على المشاهدات.

---

(١) من حديث علي ﷺ: أخرجه مرفوعًا الديلمي في «الفردوس» كما في «فيض القدير» (٣/ ٣٧٧) قال: وسنده ضعيف جدًا، وفي «كشف الخفاء» (٥٩٢) قيل: موضوع، وذكر أنه جاء عن ابن عباس مرفوعا بنحوه بسند ضعيف أيضًا، وقد جمع ما ورد في الباب في المرجع السابق. وأخرجه البخاري (١٢٩) باب «مَن خصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا» موقوفًا على عليٍّ ﷺ، وهو المعروف. وفي معناه أثر ابن مسعود أخرجه مسلم في المقدمة (ص:١٧/ ١٤) بسند صحيح، باب: (باب النهي عن الحديث بكلِّ ما سمع)، قال: «ما أنت بمحدِّث قومًا حديثا لا تبلُغه عقولُـهم إلا كان لبعضهم فتنة».

(٢) قال المناوي: «قوله: «**ولا خطر على قلب بشر**» معناه: أنه تعالى ادّخر في الجنة من النعيم والخيرات واللذات ما لم يطّلع عليه أحدٌ من الخلق بطريق من الطرق فذكر الرؤية والسمع لأنّ أكثر المحسوسات تُدرك بهما، والإدراك ببقيَّة الحواس أقل، ولا يكون غالبا إلا بعد تقدم رؤية أو سماع، ثم زاد: أنه لم يجعل لأحد طريقا إلى توهّمها بذكر وخطور على قلب ، فقد جلّت عن أن يدْركها فكر وخاطر». «فيض القدير» (٤/ ٦٢١).

(٣) كثيرا ما يقرن الله بين السمع والبصر والفؤاد، في القرآن كقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل/ ٧٨]، وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء/ ٣٦]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون/ ٧٨]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة/ ٩]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [الملك/ ٢٣]، وربما قرن بين السمع والبصر، كقوله: ﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس/ ٣١]، وقال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود/ ٢٠]، وقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة/ ١٨]، وربما قرن الله بين القلب والبصر: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام/ ١١٠].

وهذا ـ والله أعلم ـ: لأن العين طليعة القلب ورائده الذي يكشف له المرئيات، والأذن: رسوله المؤدي إليه، فمدار إدراك الإنسان وتكليفه يدور عليها.

و (الخواطر)[١]: ـ[و] المراد بها: الأفكار الصحيحة ـ: لا تجري إلا فيما جُعل لها عليه: إذنٌ واطلاع [٢].

---

(١) أي في الحديث السابق، «**ولا خطر على قلب بشر**»، و«الخاطر»: هو ما يخطر بالقلب من أمر أو رأي أو معنى، قال الكفوي: الخاطر: اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى، سمي محله باسم ذلك، وهو من الصفات الغالبة، تقول: خطر ببالي، وعلى بالي أيضا، وأصل تركيبه: يدل على الحركة والاضطراب».
والخواطر قد تكون صحيحه من جنس الإلهام، أو نفسانية وهي المعبَّر عنها: بالهواجس، أو شيطانية وهي التي تدعو إلى مخالفة الحق أو التقصير فيه، ومنه حديث: «فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه..». وجمع الخاطر: خواطر، ويقال: خاطرة، وخَطْرة، والجمع: خطَرات. انظر: «الكليات» (٤٣٣)، و«التعريفات» (٨٢)، و«معجم مقاييس اللغة» (١/ ١٩٩)، و«المعجم الوسيط» (٢٤٣)، و«النهاية» (٢٧١)، و«طلبة الطلبة» (١٦٨).

(٢) هذا هو الذي ينبغي، واعلم أنه يجب دفع الخاطر الشيطاني، وعلى المسلم أن يستعيذ بالله من الشيطان ووسوسته كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٠٠، ٢٠١]، وقال ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته» [مسلم (١٣٤)]، ويجب عدم التمادي في هذه الخطرات فإنها مبادي الشر، والزيغ، والضلال.
قال ابن القيم: «الخطرات: مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته: ملَك زمامَ نفسه وقهَر هواه، ومَن غلبتْه خطراتُه: فهواه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات: قادته قهرًا إلى الهلكات. ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) وأخسّ الناس همةً وأوضعهم نفسًا: مَن رضي من الحقائق بالأماني الكاذبة واستجلبها لنفسه، وتحلَّى بها وهى لعمرُ الله رؤس من أموال المفلسين ومتاجر الباطلين، واستجلابه يدلُّ على خساسة النفس ووضاعتها، وإنما شرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوها: بأن تنفى عنها كل خطرة لا حقيقة لها، ولا ترضى أن يخطرها بباله ويأنف لنفسه منها.
=

والله تعالى بقدرته وحكمته: حجَب بعض الأمور عن الإدراك، ولم يأذن لنا في غير الإيمان الجُملي[١]، والوقوف عند ما أوقفنا عليه تعالى، ورسولُه، كمعاني المتشابه من كلامه: لم يجعل الإذن إلا في تلاوته!، ولم يُمدح الراسخين ؛ إلا بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٢].

وكالإيمان بقول الصَّادق[٣]: «إنَّ الملك يقطع مسافة خمسمائة عام في لحظة»، وهذا شيء لا تعرفه العقول، لأنها لا تعرف ذلك[٤] مشاهدًا لها، لكنها مؤمنة به، جازمة، تصدق المخبر به[٥].

ومن هذا نظائر لا تحصى، أشار إليه من قال:

ثم الخطرت أقسام تدور على أربعة أصول: **خطرات** يستجلب بها العبد منافع دنياه، **وخطرات** يستدفع بها مضار دنياه، **وخطرات** يستجلب بها مصالح آخرته، **وخطرات** يستدفع بها مضار آخرته، فليحصر العبد خطراته وأفكاره وهمومه فى هذه الأقسام الأربعة ...إلخ كلامه رحمه الله، انظر: «الجواب الكافي» (١٠٧ وبعد).

(١) الإيمان بما أخبر بما جاءت به النصوص: يقسِّمه أهل العلم إلى قسمين: الأول: إيمان مجمل، والثاني: مفصل، ومحصّل الإيمان في القسمين: الوقوف عند الأدلة دون تجاوزها، فما فصَّلت فيه: آمنَّا بذلك التفصيل، وما أجملت فيه: آمنَّا بذلك الإجمال، كما ورد دون الخوض بمحض الرأي فيما ليس لنا به علم.

(٢) انظر الفصل الثاني من الفصول المتقدِّمة.

(٣) الصدْق: هو الخبر المطابق، والصادق: هو الآتي به، وهذا وصف مطابق للنبي ﷺ، فإنه الصادق قبل البعثة وبعدها، وفي الصحيحين أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه..» قال ابن الملقن: الصادق: هو الآتي بالصدق وهو الخبر المطابق، والمصدوق: هو الذي يأتيه غيره بالصدق، فهو ﷺ صادق في قوله، وفيما يأتيه، وهو صادق فيما أَخبَر به، وفيما أُخبِر به». «المعين على تفهم الأربعين» (١١٢)، وانظر «التعيين في شرح الأربعين» للطوفي (٨٢).

(٤) من قوله: فتفضلوا..إلى هنا: ساقط من «أ».

(٥) في «أ»: جازمة بصدق المخبر به.

ثمة سرٌّ غامض مـن دونـه قصرت والله سادات فحـول

وإذا عرفت هذا ؛ فليس لنا في هذه الأمور المغيَّبة غير الإيمان [بها][(١)] والتصديق بالوارد من صفات الجنة[(٢)] الذي لا تعرفُه عقولنا، ولا تقف على حقيقته حواسُّنا.

وإنّ كلّ ما تخيلناه: لا تبلغ كنهه، لأنه لم يجعل ـ تعالى ـ للأفكار سلطانًا على إدراك مَا هنالك، ولا أذن للأفهام في غير الإيمان بها، ولا أمر[(٣)] بسواه.

وهذا هو الذي أشار إليه السائل ـ أدام الله إفادته[(٤)] ـ في آخر كلامه ؛ قال: وهذه أمور غيب لا يسع المؤمن إلا التسليم، وطلب دخولها، بفضل الله ورحمته .

وهذا هو الأسلم، ولعله الذي كان عليه سلف الأمة [(٥)].

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «أ» جنات النعيم.

(٣) في «أ»: أمرها.

(٤) الدعاء من «أ».

(٥) نعم هذا هو الذي كان عليه السلف الصالح، ومَن اقتفى آثارهم في مثل هذه النصوص وأشباهها، وقد قرَّر الأئمة في كتب العقائد: وجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة دون الاعتراض عليها بالشكوك والشُّبه والتأويلات الفاسدة، والتحكمات العقلية الكاسدة، واعلم أنَّ مبنى العبودية لله تعالى، والإيمان بالله وكتبه ورسله: على كمال التسليم للرسول ﷺ، والتصديق لخبره، والانقياد لأوامره، وعدم معارضة شيء من ذلك بالأسئلة عن العلل والحكم، وترك: (كيف؟) و (لـمَ؟) «الاعتراضيتين!»، كما قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/ ٢٨٥]، قال الطحاوي: (وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فيتذبذب بين =

الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسا تائها زائغًا شاكًّا لا مؤمنًا مصدِّقًا ولا جاحدًا مكذِّبًا).

قال ابنُ أبي العز: «أي لا يثبُت إسلام مَن لم يسلِّم لنصوص الوحيين وينقاد إليها ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التسليم . وهذا كلام جامع نافع.

وقد حرم الله علينا القول عليه بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء/ ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٣٣]، وأخبر أنَّ ذلك من حبائل الشيطان فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/١٦٨، ١٦٩]، انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١٨٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٦١) ت:الألباني.

وأبان شيخ الإسلام: أنّ الناس افترقوا فيما أخبر الله في كتابه أو على لسان رسوله عن نفسه أو عن اليوم الآخر، وما يتبع ذلك من أخبار عن الجنة والنار، فقال رحمه الله: «فإن الله – سبحانه وتعالى – أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات: من أصناف المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن فأخبرنا أنَّ فيها لبنًا وعسلًا وخمرًا وماء ولحمًا وحريرًا وذهبًا وفضة وفاكهة وحورًا وقصورًا، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء)، فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها ؛ هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى: فالخالق – سبحانه وتعالى – أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلُوق، ومباينته لمخلوقاته: أعظم مِن مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق وهذا بيِّنٌ واضح.

ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق: ١) فالسلف والأئمة وأتباعهم: آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة وأنَّ مباينة الله لخلقه أعظم . ٢) والفريق الثاني: الذين اثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب ونفوا كثيرًا مما أخبر به من الصِّفات مثل طوائف من أهل الكلام المعتزلة ومن وافقهم. ٣) والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا كالقرامطة والباطنية =

والفلاسفة ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر». «التدمرية» (٤٦ـ٤٨).

وقال ابن القيم رحمه الله: ـ وهو يبين انقسام الناس في نصوص الوحي ـ: «وهدى الله أصحابَ سواء السبيل للطريقة المثلى فأثبتوا حقائقَ الأسماء والصفات، ونفوا عنها مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، يثبتون له الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها، ولا يكيفون شيئا منها، فإن الله تعالى أثبتها لنفسه، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها، وكيفيتها، **فإن الله تعالى لم يكلِّف عباده بذلك ولا أراده منهم، ولا جعل لهم إليه سبيلا، بل كثير من مخلوقاته أو أكثرها لم يجعل لهم سبيلا إلى معرفة كنهه وكيفيته، وهذه أرواحهم التي هي أدنى من كل دان قد حجبت عنهم معرفة كنهها، وكيفيتها، وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم، ولم يعرفوا كنهه، فلا يشك المسلمون، أنَّ في الجنة: أنهار من خمر، وأنهار من عسل، وانهار من لبن، ولكن لا يعرفون كنه ذلك، ومادته، وكيفيته، إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب، والعسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها، واللبن إلا ما خرج من الضروع، والحرير إلا ما خرج من دود القز، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة، من غير أن يكون مماثلا لما في الدنيا، كما قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، ولم يمنعهم عدم النظير الدنيا: مِن فهم ما أُخبروا به من ذلك**». «مختصر الصواعق» (١١٣ـ١١٤)، وانظر: «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٢٥).

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/ ٦٤) في الكلام على حديث «إنَّ أرواح المؤمنين كطير أو في صور طير في الجنة..» قال: «وليس هذا موضع نظر ولا قياس، لأنَّ القياس إنما يكون فيما يسوغ فيه الاجتهاد، ولا مدخل للاجتهاد في هذا الباب [اليوم الآخر] وإنما نسلم فيه لما صح من الخبر عمن يجب له التسليم».

وقال القرطبي في «المفهم» (٧/ ١٧٢) في شرح حديث: «أعددت لعبادي..»: معنى الكلام: أن الله ادَّخر في الجنة من النعيم والخيرات واللذات ما لم يطّلع عليه أحد من الخلق، لا بالإخبار عنه، ولا بالفكرة فيه، وقد تعرض بعض الناس لتعيينه!: وهو تكلُّف ينفيه الخبر نفسه، إذ قد نفى علمه والشعور به عن كل أحد، ويشهد له ويحققه قوله: «بل ما أطلعكم الله عليه» أي: دع ما أطلعكم الله عليه يعني: أنّ المعد المذكور غير الذي أطلع عليه أحدا من الخلق».

ويحتمل أن قوله: «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»: نفي لما مضى كما تدل عليه[١] «صيغة الماضي» والتعبير بها، والمراد: نفي ما ذُكِر؛ فيما سلف؛ [والمراد أيضًا: الأحياء فإنَّ الأموات قد رأوا ما أُعدّ لهم، كما ثبت من أنه يعرض على الميت مقامه في الجنة[٢]، ولأنَّ الرُّسل الماضين صلوات الله عليهم قد عرَّفت أممهم بالجنة][٣] أي: ما رأته عينٌ من أعين المخاطبين، لأنَّه قد ثبت أنَّ النبي رأى الجنة[٤]، ودخلها مرارًا، ورأى قصورها، وعرفها، وأخبر عن ذلك[٥].

(ولا أذن سمعت): قبل إسماعي إياكم بما فيها من النعيم، (ولا خطر على قلب): قبل أن أفتح لكم الباب بالإخبار عن ذلك ! . وأما الآن فقد سمعتْهُ آذانكم.

---

(١) في «ب»: كما يدل صيغة. . .

(٢) جاء هذا في حديث أنس في البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء في حديث البراء، وحديث أبي هريرة، وهي أحاديث صحيحة، وقد خرّجتها في تحقيقي على «بشرى الكئيب» (٣٣ ، ٨٤).

(٣) ما بين المعقوفين من «أ» وهو ساقط من «ب».

(٤) في أحاديث كثيرة، فمنها: حديث عائشة في الصحيحين [خ (٧٤٥)، م (٩٠١)] في الكسوف وفيه: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أقدم..»، ومنها حديث أبي هريرة في الصحيحين [خ (٣٢٤٢) م (٢٣٩٥)] عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بينا أنا نائم إذ رأيتني في الجنة فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا ؟ فقالوا لعمر بن الخطاب فذكرت غيرة عمر فوليت مدبرا» قال أبو هريرة فبكى عمر ونحن جميعا في ذلك المجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عمر بأبي أنت يا رسول الله أعليك أغار».

(٥) النبي ﷺ أطلعه الله على الجنة ورأى من نعيمها، وأخبر هو ﷺ عن ربه أنه قال:«أعددت لعبادي ما لا عين رأت..» فظهر أنَّ هذا المعدّ غير الذي أطْلعَ عليه من شاء من خلقه، فإنَّ نعيم الجنة لا يُعدّ نوعه، ولا يحصر جنسُه، ولا ينقطع مدده، انظر الفصل الأول من الفصول السابقة.

وحينئذ فقد يُقال: إنه يتجه للأفكار الحوم[١] حول تلك الكيفيات لذلك النعيم، بحيث يحصل عندها تصوّره كتصور البلدان المغيبات، والأمم الماضيات، بالقياس[٢] على المشاهدات.

فيقال: إنَّ الحُلة الواحدة، وإن كانت[٣] ـ عادة ـ تمنع البصر عن إدراك ما وراءها، فضلا عن السبعين الحُلَّة،: يجوز أنْ يخلقَ الله قوة في البصر ينفذ بها ما حُجب [عنه عادة في هذه الدار، وصقالة في الحلل، حتى ينزل منزلة شعاع الشمس الذي به يكون له الإدراك][٤]، فتكون الحلل كالأنوار، التي يخرقها الأبصار[٥].

وأما أنه يلزم ألا تستر الحلّة لابسَها؛ مع أنّ ستر العورة مطلوب عقلا، ففيه أجوبة:

أحدها: ما أشار إليه السائل ـ أدام الله إفادته ـ من أنَّ ذلك فيما بين الزوجين لا غير . وفيه معنيان: إما بمعنى أنه تعالى جعل هذا الإدراك للأزواج [فقط، وأنهن عند غيرهم في هذه الحلل مستورات، لا يدرك منهن فيها ما يدركه الزوج][٦].

أو بمعنى أنه لا يراهن أحد غير الأزواج/ل١/ب/، لأنهن مقصورات في الخيام، كما أفادته الآية في صفات بعض الحور، وحينئذ: فهن لا يبرزن من الخيام ولا يراهن غير من خُلقْن له[٧]، [وأما قوله تعالى في صفات الأعلى من الحور:

---

(١) كذا في «أ»، وفي «ب»: الحيوم.

(٢) في «أ»: بالقياسات.

(٣) في المخطوط: كان.

(٤) هذا ساقط من «أ».

(٥) في«أ» البصر.

(٦) ساقط من «أ».

(٧) وُصِف الحور العين بأنهن قاصرات الطرف، وبأنهن مقصورات في الخيام، فالأول في ثلاثة مواضع: أحدها: قوله: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾، والثاني: قوله تعالى في =

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ أي أنهن لا ينظرن إلى غير مَن خلقن له][1] فهو مستلزم أنهن لم يبرزن أيضًا من الخيام، لأنه لا حاجة لهن إلى غير من قُصِر طرْفُهنَّ عليه، وهم: الأزواج.

ويُحتمل أيضًا أنَّ: (قاصرات) و(مقصورات) صفات للكل، لكنه تعالى عبَّر في بعضهن بصفة، وفي البعض [الآخر] بصفة، والكل صفات للكل، ولكنه اكتفى في كل مقام بصفة، وله نظائر في القرآن، وفي الكلام النبوي.

وهذا الاحتمال جيِّد، لأنَّ كمال النعمة: أنْ يكنّ قاصرات الطرف، مقصورات في الخيام.

وهذا الحوار[2]: يكشف عن سرِّ هذه الصفة التي ذكرها المصطفى[3]، وأنها نعمة تقصر عنها النعم، ويقف عاجزًا عن وصفها القلم.

الصافات: ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾ والثالث: قوله تعالى في ص: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾، والمعنى: قصرْنَ طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، قال مجاهد: قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن، وقال الحسن: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات.

وأمَّا وصفهن بـ: مقصورات، ففي قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن/ ٧٢]، والمقصورات: المحبوسات على أزواجهن في الخيام لا يفارقونهن، قال ابن القيم: وصف النسوة الأُوَل بكونهن (قاصرات الطرف)، وهؤلاء بكونهن (مقصورات): والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال ، فتلك الصفة: قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج. وهذه الصفة: قصر الرِّجْل على التبرُّج والبروز والظهور للرجال». «حادي الأرواح» (١٦٣).

(١) من «أ»، وهو ساقط من «ب».

(٢) عنى هذه الاحتمالات والمعاني التي ذكرها.

(٣) يعني في الحديث المتقدِّم وهو قوله: «يرى مخ ساقها».

لأنه يكونُ ـ للحويراء ـ قد اجتمع فيها: لذة العين، برؤية الحُلَل والحِلَى، ولذة القلب الباعثة له على الوِقاع، وهي كونها في حكم المجرَّدة.

وفي التعبير بـ «مخ ساقها»: إعلام أنَّ غيره من محاسن البدن يُرى بالطريق الأولى، لأنه إذا أدرك مخ الساق مِن خَلف لحمه وعظمه ـ الذي هو من أغلظ عظم في البدن ـ ظهر ما وراء الحلل من محاسن البدن بالأولى.

وثانيها[(١)]: احتمال [أنه غير مختص بالأزواج و][(٢)] أنه تعالى يضع الحجاب في الآخرة، كما كان موضوعًا في صدر الإسلام، ويرفع دواعي القبيح، فلا تتوقُ نفس أحد إلى غير أهله، وتنزَّل منهم أشد من منزلة الأمهات والأرحام في دار الدنيا ـ وقد نفى الله تعالى اللغو والتأثيم عن خمور الجنة، فضلا عن سائر القبائح ـ وتكون الحُلل ساترة لما يقبح عند العقل كشفه، لأنَّ أحكام العقل ثابتة في الدارين، وربما يؤنس هذا [الاحتمال][(٣)] قوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، فإنَّ من تمام النعمة: رفع الحشمة، فإنها تكليف، ولذا يجد الإنسان في دار الدنيا: تبسيط طباعه عند من لم يحتشم منهم، ويحل له النظر إلى مَن لذّ بهم، ولذا كان أكمل لذة الإنسان في بيته، عند أرحامه وأهله، وفيه انشراح صدره.

وفي هذا الاحتمال وجه آخر وهو أنه مع كون تلك الحُلل لا تحجب عن غير الأزواج: يحتمل أنهن لا يلبسْنها إلا عند الخلو بالأزواج، فإذا كان لديهم الغير: كان عليهن حُلَل ساترات كحُلل الدنيا، وما في الحديث حصرٌ على أنه ليس لهن إلا تلك الحلل.

---

(١) أي ثاني الأجوبة عن الإشكال السابق، وهو: كون قوله في الحديث: «يرى مخ ..» يلزم منه أن الحلل غير ساترة للعورة المطلوب سترها عقلا .

(٢) من «أ» .

(٣) من «أ» .

فهذه أربعة أوجه:

أحدها: أنّ لهذه الحلل مع الأزواج حكما ؛ ليس لها مع غيرهم . وإنها تكون للأزواج كالمرآة تحكي مَا وراءها، وتكون لغير الأزواج كظهر المرآة، لا يدرك منها شيئًا.

الثاني: أنه لا يراهُنَ غير الأزواج.

الثالث: أنه لا حجاب في دار الآخرة.

الرابع: أنَّ هذه الحُلل تلبس عند إرادة كمال الزينة للأزواج .

وهي أوجه يجري فيها التداخل .

❁ وأما ما ورد في (الغرف):

فيحتمل أنَّ المراد: بأنه يبرز للعيون ما في باطنها مما يُحب صاحبها بروزه من: السُّرر[١]، والفرش المرفوعة[٢]، والزرابي المبثوثة[١]، والزَّفْرف، والعبقري[٢]، فإنه

---

(١) جمع سرير، ويجمع أيضا على: أسرَّة، وهو الذي يُجْلس عليه من السرور، إذ كان ذلك لأهل النعمة، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ [الطور:٢٠]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية/ ١٣]. «المفردات» للراغب (٤٠٥)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٧٤).

(٢) قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤]، الفَرْش: بسط الثياب، ويقال للمفروش: فُرش وفِراش، وقوله: ﴿مرفوعة﴾ أي: عالية بعضها فوق بعض ناعمة، وقيل: إن الفرش: كناية عن النساء في الجنة! والذي يظهر أن ذلك يفهم منه وليس هو المقصود، لقوله: ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾، وأما قوله بعدها: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٤-٣٦] فقال ابن كثير: «جرى الضمير على غير مذكور، ولكن لما دلَّ السياق وهو ذِكْر الفرش على النساء اللاتي يضاجَعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص/ ٣١، ٣٢] يعني الشمس على المشهور من قول المفسرين». «تفسيره» (٤/ ٣٨١)، وانظر: «المفردات» (٦٢٩)، «فتح القدير» (٥/ ٢٠٣).

معلوم أنَّ العبدَ يحبُّ إظهار نعمة الله، وما أعطاه الله من أياديه[٣] في دار الدنيا، لولا خوفه من أعدائه وحسَّاده، ولذا تأنق الناس في أنواع متاع الدنيا من الأثاث والزخارف، وجُلّ قصدهم أن تراه عيون النُّظارة، ولذلك يخرجون محاسن ما عندهم في الاجتماعات والضيافات .

فأخبر الصادق أنَّ هذا الشيء الذي يُراد في الدنيا إبرازه: يحصل في الآخرة من غير كُلفة ولا مشقة.

وفيه نعمتان:

- نعمة لصاحبه، [بإظهار نعمته][٤].

- ونعمة لِنَاظره: بتنزيه بصره، وتسريح طَرْفه، في نعيم أخيه، وزيادة في سروره بما ناله أخوه من كرامة الله تعالى له، لأن أهل الجنة يكونون على أتقى قلب رجل، قد نزع الله الغل عن قلوبهم، وصاروا إخوانا [٥].

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية/١٦]، الزرابي: البُسُط، قال أبو عبيدة والفراء: الزرابي: الطنافس التي لها خمل رقيق، و ﴿مبثوثة﴾ أي: مبسوطة كثيرة. «المفردات» (٣٧٩)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٨٠)، «فتح القدير» (٥/ ٥٧٤).

(٢) قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦] قيل في الرفرف والعبقري أقوال يجمعها أنها : بُسط كالزرابي والمخاد ونحو ذلك، وقيل: الرَّفرف: رياض الجنة خضْراء. «المفردات» (٣٥٩، ٥٤٤)، «فتح القدير» (٥/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، «ابن كثير» (٤/ ٣٦٦)، «حادي الأرواح» (١٩٦).

(٣) أي: نِعَمَه التي قوَّاه بها وحفظها عليه، انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (١٠٠)، «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٢٢٨)، و«القاموس» (٣٣٨).

(٤) من «أ».

(٥) قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧] وقال ﷺ في وصف أهل الجنة: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل =

حينئذ: يظهر أنَّ بلوغ الغرفة الحد الذي ذُكِر من الصَّفاء: نعمة تقاصرت العبارات عن نعتها.

ولا ينافي موضوع الغرف والقصور والأبواب، وهذا وجه وجيه.

ويحتمل ما قاله السائل: مِن أنه مختصّ بساكنها، كما أفادهُ حديث البيهقي[١] إلا أنَّ الوجه الأول: أجود، ولا ينافيه حديث البيهقي، لأنَّ كون سَاكنها: لا يخفى عليه ما في باطنها = لا ينافي كون غيره يُدرك منها ما يحبّ إدراكه.

ويرجِّحه: ما قالهُ السائل: من أنَّ ذلك الوصف مطلق، وساقه لإفادة وصف صفائها وحُسنها.

ويُحتمل: أنّ هذه الغرف خاصة ببعض مساكن أهل الجنة، وأنها تكون بمثابة الأماكن الخاصة في دار الدنيا، المتوسّطة في بطون القُصور، وإنه لا يعلم بها أحد، ولا يقع عليها غير عَين أهلها.

وفي تسميتها: (غرفا) إتمام وإشعار بأنها مساكن خاصة في القصور، ويدل له: ما وردَ من أنَّ قصورها من الذهب، وحيطانها من الذَّهب ـ أعني: جنتين منها[٢].

وجنتان: قصورها من الفضة، وحيطانها من الفضة، وحينئذ: فلا إشكال .

وأما حديث: (الخيام) .

فقوله: «**لا يرى بعضهم بعضا**»: ظاهر أنه لا يرى ما في بطون الخيام إلا أهلها.

واحد يسبحون الله بكرة وعشيًّا» أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) تقدم أنه ضعيف .

(٢) أخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»، وانظر: «صفة الجنة» لأبي نعيم (١/ ١٧٠ ـ ١٧٦).

وفيه احتمالان:

أحدهما: أنَّ عدمَ الرؤية لبُعد المسَافة، واتِّساع المحل، [إلا أنه يُبعِّد هذا][(١)] ما وردَ من أنَّ المؤمن: «ينظر في مُلكِهِ مسيرة ألف عام، ونحوها»[(٢)].

الوجه الثاني: وهو الاحتمال الآخر: أنه لأمر يجعله الله مانعًا عن الإدراك .

والله أعلم بمراده، ومراد رسوله ﷺ.

هذا ما تحصَّل للنظر الكليل، والذهن الضئيل !

فإنْ كان صوابا فمِن توفيق الرَّب الجليل، وإنْ كان خطأ فمِن قُصور قائله، وأستغفر الله مِن كُلّ قال وقيل . انتهى . والحمد لله رب العالمين .

[قال قائله ـ قدس الله سره ـ: كتبته:

يوم الأحد ثالث شهر رمضان الكريم، سنة (١١٢٦ هـ). انتهى].

---

(١) من «أ».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٣)، والترمذي (٣٣٣٠)، وغيرهما من طريق ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر رفعه: «إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله مَن ينظرُ إلى وجهه غدوة وعشية» لفظ الترمذي، وسنده ضعيف جدًا، ثوير هذا قد تُرك، وقال الحافظ: ضعيف رمي بالرفض. وضعفه الترمذي، وأشار إلى إعلاله بالوقف، فقال عقبه: هذا حديث غريب، قد رواه غير واحد عن إسرائيل مثل هذا مرفوعًا، وروى عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قوله ولم يرفعه. قلتُ: أخرجه هكذا ابنُ أبي شيبة (١٣/ ١١١)، واللالكائي (٨٦٦) من طريق حسين بن علي الجعفي عن عبد الملك ..به.] قال الترمذي: «وروى الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه، وما نعلمُ أحدًا ذكر فيه (عن مجاهد) غير الثوري، حدثنا بذلك أبو كريب حدثنا عبيد الله الأشجعي عن سفيان». قلت: ومن هذا الوجه أخرجه ابنُ جرير (٢٩/ ١٩٣).

تمَّ بحمْد الله تعالى التعليق على هذه الرسالة للعلامة الصنعاني، وقرأتها وصحَّحتُ منها مواضع رابع أيام عيد الفطر المبارك من عام ١٤٤١ من الهجرة.

الفهرس الإجمالي

المقدمة..... ١
ملخَّص عملي في الرسالة ٤
ترجمة مختصرة للمؤلف ٥
فصول بين يدي الرسالة ٧
الفصل الأول: في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٧
الفصل الثاني : في بيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. ١٣
وصف النسخ الخطية ١٦
صور من المخطوطات ١٧
بسم الله الرحمن الرحيم ١٨
[نص السؤال] ١٨
الجواب ٢٥
الفهرس الإجمالي ٤٣